الأستاذ: النذير ضبعي
السنة: الثانية ليسانس
المادة: المدارس اللسانية
التخصص: دراسات لغوية
المحاضرة رقم 12 من 14
عنوان المحاضرة: المدرسة الوظيفية الأمريكية:

نشأت نظرية النحو الوظيفي مع مجموعة من الباحثين بجامعة امستردام يرأسهم الباحث اللساني سيمون ديك الهولندي، حيث قدّم الصياغة الأولية العامة للنحو الوظيفي سنة 1978م ، وأرسى أسس النحو الذي يقترحه ، وقدّم الخطاطة العامة لتنظيم مكوناته، ولهذه النظرية نماذج كثيرة متعاقبة وهي نظرية تستجيب لشروط التنظير والنمذجة ، وانتقلت هذه النظرية من مسقط رأسها بهولندا إلى أقطار أخرى كبلجيكا، وإسبانيا، وانجلترا[1].

موضوع نظرية النحو الوظيفي:

لم تقف النظرية عند وصف القدرة التواصلية ، وإنّما وسّعتها بالأخذ في عين الاعتبار طاقات ومعارف أخرى ، إضافة إلى الطاقة والمعرفة اللغوية (النحوية)، وذلك من خلال نموذج مستعمِل اللغة الطبيعية , ومستعملو اللغة الطبيعية لا يتواصلون فيما بينهم إلا بخطابات ، ولهم قدرة تواصلية متكاملة أي مجموعة من الملكات , وهي الملكات المعرفية ، واللغوية ، والإدراكية ، والمنطقية والاجتماعية... ولا تصل النظرية حدّ التكامل والكفاءة الشاملة إلا إذا رُصدت هذه الملكات كلَّها ولم تقف عند حدود الملكة اللغوية وحدَها[2].

الكفاءات أو الملكات التداولية:

لابد من توفر الكفاءات التداولية لبلوغ المقصود من الخطاب، فتأويل المرء لقول ما سواء كان بينا أم مضمرا يوجب كفاءاته المتنوعة على مختلف العناصر الدالة المدرجة في المتتالية الخطابية، حتى يتسنى له استخراج مدلولاتها، وهو أمر يبدو في نظرنا هينا وبسيطا، لكن ما إن نتجاوز الشق النظري في محاولة لتحديد طبيعة العمليات التأويلية المنجزة على الصعيد الحسي حتى تتلاشى هذه البساطة، فنخوض في أغمار آلية هي بمنتهى التعقيد حيث تتدخل فيها في آن واحد كفاءات غير متجانسة تتصف بالدقة البالغة[3].

---

[1] - ينظر: إبراهيم باد، محاضرات في النحو الوظيفي،
[2] - المرجع السابق.
[3]- ينظر: كاترين كيربرات أوريكيوني، المضمر، ص283.

ولعل ما استوجب حضور هذه الكفاءات هو قصور البنية الشكلية للخطاب على بلوغ القصد، فالكلام الواحد "يختلف فهمه بحسب حالين، وبحسب مخاطبين، وبحسب غير ذلك، كالاستفهام لفظ واحد ويدخله معان أخر من تقرير وتوبيخ وغير ذلك، وكالأمر يدخله معنى الإباحة والتهديد والتعجيز وأشباهها، ولا دليل على المعنى المراد إلا الأمور الخارجية، وعمادها مقتضيات الأحوال، وليس كل حال ينقل، ولا كل قرينة تقترن بنفس الكلام المنقول، وإذا فات نقل بعض القرائن الدالة فات فهم الكلام جملة أو فهم شيء منه"[4].

وليست الكفاءات التداولية نسقا بسيطا بل هي أنساق متعددة متآلفة فهي تتألف من خمس ملكات على الأقل وهي: الملكة اللغوية، والملكة المنطقية والملكة المعرفية، والملكة الإدراكية والملكة الاجتماعية. وقد عرفها "دايك" على النحو التالي[5]:

- الملكة اللغوية: هي قدرة مستعمل اللغة على إنتاج وتأويل عبارات لغوية ذات بنيات متنوعة ومعقدة في مواقف تواصلية مختلفة.

- الملكة المنطقية: تمكن مستعمل اللغة من اشتقاق معارف أخرى بواسطة قواعد استدلال تحكمها مبادئ المنطق الاستنباطي والمنطق الاحتمالي.

- الملكة المعرفية: وهي رصيد مستعمل اللغة من المعارف المنظمة، وقدرته على اشتقاق معارف من العبارات اللغوية وتخزينها واستحضارها لتأويل العبارات اللغوية.

- الملكة الإدراكية: وهي إدراك مستعمل اللغة لمحيطه ليشتق منه معارف لتأويل الخطاب وإنتاجه.

- الملكة الاجتماعية: لا يعرف مستعمل اللغة ما يقول فحسب، بل يعرف كذلك كيف يقول ذلك لمخاطب معين في موقف تواصلي ما قصد تحقيق أهدافه التواصلية.

---

[4]- عيد بلبع، مقدمة في نظرية البلاغة النبوية السياق وتوجيه دلالة النص، ط1، 2008، ص194.

[5]- ينظر: عبد الهادي الشهري، استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، ص 57.